نقصان عمر العاصي

مرضا طويلا مستغنية من غذا الا ما اطب منها فانها من المستغانات ومنها ان المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد فان البر كما يزيد في العمر فالفجور يقصر العمر وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقالت طائفة نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحقها عليه وهذا حق وهو بعض تاثير المعاصي وقالت طائفة بل تنقصه حقيقة كما تنقص الرزق فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق اسبابا تكثره وتزيده وللبركة في العمر اسبابا تكثره وتزيده قالوا ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب فالارزاق والاجال والسعادة والشقاوة والصحة والمرض والغنا والفقر وان كانت بقضاء الرب عز وجل فهو يقضي ما يشاء باسباب جعلها موجبة لمسبباتها مقتضية لها وقالت طائفة اخرى تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحيوة هو حياة القلب ولهذا جعل الله سبحانه الكافر ميتا غير حي كما قال تعالى اموات غير احياء فالحياة في الحقيقة حيوة القلب وعمر الانسان مدة حيوته فليس عمره الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعة تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية التي يجد غب اضاعتها يوم يقول يا ليتني قدمت لحيوتي فلا يخلو اما ان يكون له مع ذلك تطلع الى مصالحه الدنيوية والاخروية او لا فان لم يكن له تطلع الى ذلك فقد ضاع عليه عمره وذهبت حيوته باطلا وان كان له تطلع الى ذلك طالت عليه الطريق بسبب العوائق وتعسرت عليه اسباب الخيرات بحسب اشتغاله باضدادها وذلك نقصان حقيقي وسر المسئلة ان عمر الانسان مدة حياته ولا حياة له الا باقباله على ربه والتنعم بحبه وذكره وايثار مرضاته

فصل ومنها ان المعاصي تزرع امثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعسر على العبد مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف ان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فالعبد اذا عمل حسنة قالت اخرى الى جانبها اعملني ايضا فاذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات وكذلك جانب السيئات ايضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة فلو عطل المحسن الطاعات لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الارض بما رحبت واحس من نفسه انه كالحوت

اذا فارق

اذا فارق الماء حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه ولو عطل المجرم المعصية واقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق عليه صدره واعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها حتى ان كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ولا داعية اليها الا لما يجد من الالم بمفارقتها كما صرح بذلك شيخ القوم الحسن بن هاني حيث يقول

وكاس شربت على لذة ۞ واخرى تداويت منها بها

وقال الاخر

فكانت دوائي وهي دائي بعينها ۞ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ولا يزال العبد يعاني الطاعة ويالفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عز وجل عليه الشياطين فتؤزه اليها ازا فالاول قوي جند الطاعة بالمدد فصاروا من اكبر اعوانه وهذا قوي جند المعصية بالمدد وكانوا اعوانا عليه

فصل ومنها وهو من اخوفها على العبد انها تضعف القلب عن ارادته فتقوى ارادة المعصية وتضعف ارادة التوبة شيئا فشيئا الى ان تنسلخ من قلبه ارادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب الى الله فياتي من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على مواقعتها متى امكنه وهذا من اعظم الامراض واقربها الى الهلاك

فصل ومنها انه ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهذا عند ارباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة حتى يفتخر احدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم انه عملها فيقول يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم ابوابها في الغالب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من الاجهار ان يستر الله على العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فتهتك نفسه وقد بات يستره ربه ومنها ان كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن امة من الامم التي اهلكها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط واخذ الحق بالزائد ودفعه بالنا قص ميراث عن قوم شعيب والعلو في الارض والفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الامم وهم اعداء الله وقد روى عبد الله بن احمد في كتاب الزهد لابيه عن مالك بن دينار قال اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسراءيل ان قل لقومك لا يدخلوا

ازا اليها
الملائكة تؤزه عن
وتحرضه عليها وتزعجه
فراشه ومجلسه اليها ولا
يزال يالف المعاصي ويحبها
ويؤثرها حتى يرسل الله عليه صح

Copyright © King Saud University